الأب بطرس الذي من ذيوس

١ ـ كان بطرس كاهن ذيوس يصلّي كثيراً مع الآخرين لأنه أجبر بسبب كهنوته أن يتقدم الجميع . فكان بتواضع كبير يضع نفسه وراء الجميع معترفاً كما هو مكتوب في سيرة القديس أنطونيوس . وكان يفعل ذلك دون أن يحزن أحداً .

الأب روماوس

١ ـ جاء مرة راهب اسمه روماوس كان يقيم في الاسقيط ، إلى مكان قريب من الكنيسة . وكان عنده خادم كان يقوم بخدمته . فلمّا رأى الكاهن مرضه وعرف من أي تنعم هو وما كان يدبره حتى يصل إلى الكنيسة ، أرسل يطلبه . وكان قد أمضى في الاسقيط ٢٥ سنة ، وطبقت شهرته الآفاق . فلما سمع به أحد المصريين الكبار ، جاء ليراه راجياً أن يجد عنده نسكاً جسدياً أقسى . فلمّا دخل عليه ، عانقه ، وبعد الصلاة جلس الجميع . فرآه المصري يلبس لباساً ناعماً ويفترش بساطاً وجلوداً ووسادة صغيرة ورجلاه نظيفتان . فلما رأى كل هذا ، أُعثر ، إذ لم يكن تصرّف كهذا لائقاً في مثل هذا المكان حيث طريقة العيش قاسية . أمّا الشيخ الذي كان صاحب تبصر روحي فقَد فهم أن المصري قد

أعشر ، فقال لخادمه : فلنعيّد من أجل الأب الضيف هذا النهار . وكان هناك شيء من الخضار فطبخها وفي الوقت المحدد قام الجميع إلى الطعام وأكلوا . وكان عند الشيخ قليل من الخمر بسبب مرضه ، فدفع بها إلى المائدة . ولما هبط الظلام ، قرأوا المزامير الاثني عشر وذهبوا إلى النوم . وفي الليل فعلوا الشيء نفسه وأقاموا صلاة صغيرة . وعند الصباح ، لمّا استيقظ المصري قال له : صلّ لأجلي ومضى دون أن ينتفع . ولمّا ابتعد قليلاً ، أراد الشيخ أن يفيده قليلاً ، فأرسل يدعوه . فلمّا دخل ، استقبله بفرح وسأله : من أي بلد أنت ؟ قال : أنا لست من سكان المدن . قال له : وأين كنت تنام ؟ أجابه : في الحقل . فقال : هل كان تحتك فراش لما كنت تذهب للنوم ؟ قال : نعم كنت افترش قبل أن أستلقي . ثم قال له : وماذا كان طعامك في الحقل ؟ وأي نوع من الخمر كنت تحتسي؟ أجابه : وهل في الحقل طعام أو خمرة ؟ أجابه : إذاً كيف كنت تعيش ؟ قال له : كنت آكل خبزاً جافاً ، وإذا توفر لي شيء من الطعام المملّح مع قليل من الماء . أجابه الشيخ : عمل عظيم . ولكن هل ثمة حمّام في القرية لتستحم ؟ أجابه : كلا ـ لكننا نستحم في النهر عندما نريد . فلما أتى الشيخ على كل هذه التفاصيل ، وعلم صعوبة سيرته السابقة ، أراد أن يفيده ، فسرد عليه سلوك سيرته في حياته في العالم ، وقال : إن الحقير الذي تراه ، هو من روما المدينة العظيمة . لقد أصبحت ذا شأن في بلاط الملك . فلما سمع المصري هذا ، تأثر وتابع ما قاله بدقة . ثم قال للشيخ : تابع حديثك يا أبت . فقال الشيخ : ثم إني هجرت المدينة وأتيت إلى هذه البرية . وأنا الذي تراني الآن ، كنت صاحب أملاك كثيرة من بيوت وأموال . إلاّ أني ازدريت بها كلها وأتيت وسكنت في هذه القلاية الصغيرة . لقد كان عندي اسرّة من ذهب وفراش ناعم كالحرير وأغطية باهظة الثمن . إلاّ أن الله أعطاني عوضاً عنها هذا البساط الجلدي البسيط . أمّا لباسي فكان لباساً ناعماً كثير الثمن أيضاً ، فأعطاني الله عوضاً عنه هذا اللباس الحقير . وكنت أنفق الكثير على طعامي ، فأعطاني الله عوضاً عن ذلك البقول والخضار وكأس الخمرة الصغيرة هذه . وكان تحت امرتي خدام كثيرون ، وهنا قد دفع الله هذا الشيخ

لخدمتي . وبدل الحمّام الملوكي ، أسكب على رجلي قليلاً من الماء ، وهذا أفعله كوني مريضاً . وبدل الانغام الشجية والقيثارات والآلات الموسيقية التي كنت أستطيب سماعها ، أنشد المزامير الاثني عشر . وفي الليل ، بدل الخطايا التي ارتكبتها ، أقوم بالصلاة . لذا أرجوك يا أبت ، ألاّ تُعثر بسبب مرضي . فلما سمع المصري هذا ، عاد إلى نفسه وقال : وا حسرتاه كنت في المدينة محروماً ، وها أنا الآن في بحبوحة لم أكن أعرفها . ما كان بالأمس حلمي ، قد صار الآن بين يدي . أمّا أنت فقد تركت التنعم وأتيت إلى الحرمان ، ومن المجد الكبير ، هبطت إلى الفقر والتواضع . فلمّا انتفع في قلبه ، مضى وصار رفيقاً له وكان بين الفينة والأخرى يتردد عليه للمنفعة ، لأنه كان رجلاً ذا بصيرة روحية ومملوءاً من شذى الروح القدس . (على الأرجح أن الضيف كان يعمل حارساً في الحقل الذي كان ينام فيه كما ذكر) .

٢ ـ هو نفسه قال إنه كان لأحد الشيوخ تلميذ صالح . ومن الاحتقار طرده هو وثوبه ، فلبث عند الباب خارجاً . وبعد مدة فتح الشيخ الباب فرآه جالساً ، فسجد له وقال : يا أبت ، إن تواضعك وطول أناتك قد هزمت إهمالي وغلبته . هلمّ إلى الداخل . من الآن تكون الأب وأنا التلميذ .

الأب روفو

١ ـ سأل أخ الأب روفو قائلاً : ما السكينة وما هي منافعها ؟ أجابه الشيخ : السكينة هي أن يقيم المرء في قلايته بمعرفة الله وخوفه مبتعداً عن الإساءة والعجب . إن سكينة كهذه تتولد منها كل الفضائل ومن شأنها أن تحمي الراهب من سهام العدو الملتهبة فلا تدعه ينجرح . نعم يا أخي ، اقتنِ هذه السكينة وتذكّر ساعة خروجك لأنك لا تعلم متى يأتي اللص . بهذا إذن ، إسهر من أجل خلاص نفسك .

٢ ـ قال الأب روفو : إن من يبقى تلميذاً لأب روحي له أجر أكبر من الذي يعيش في البرية كناسك . وقال إن أحد الآباء أخبره قائلاً : رأيت أربع طغمات في السماء : الأولى ، إنسان مريض يشكر الله . والثانية ، إنسان يطلب ضيافة الغرباء ويقف نفسه على خدمتهم . والثالثة ، إنسان يبتغي البرية ولا يرى أحداً . والرابعة ، إنسان يخضع لأب روحي حباً بالرب . وكان هذا الأخير ينتمي إلى فئة الطاعة ، يلبس قلادة من ذهب وله مجد يفوق مجد سواه . أمّا أنا فقلت لمرشدي : كيف يكون هذا الأصغر ذا مجد يفوق مجد الآخرين ؟ قال لي : إن من يسعى إلى ضيافة الغرباء ، هو إنسان يفعل هذا بمشيئته . ومن يقيم في البرية ينقطع إليها بإرادته . أمّا أن يمارس المرء الطاعة ويخضع لأب روحي ، فهذا مجد رفيع لأن صاحبه قد قطع كل مشيئة ذاتية له . لذا يا ولدي، جميلة هي الطاعة التي تكون حباً بالله . فاسمعوا يا أولادي شيئاً من هذا الإنجاز . أيتها الطاعة ، يا خلاص جميع المؤمنين . أيتها الطاعة ، يا أمّ جميع الفضائل . أيتها الطاعة ، يا محقِّقة الملكوت وفاتحة أبواب السموات . أيتها الطاعة ، يا غذاء كل القديسين ورافعة البشر من الأرض . أيتها الطاعة التي منها نغتذي فنبلغ الكمال . أيتها الطاعة ، يا مساكنة الملائكة .

الأب رومانوس

١ ـ عندما أوشك الأب رومانوس أن يغادر هذا العالم ، تحلّق حوله تلاميذه وقالوا له : كيف ينبغي أن نسلك بعد رحيلك ؟ قال لهم : لا أذكر أني طلبت من أحدكم شيئاً دون التفكير به قبل طلبه . وهكذا كنا نعيش بسلام كل زمان حياتنا .

الأب سيسوى

١ ـ أُسيء إلى أحد الإخوة فقام ومضى إلى الأب سيسوى وقال له : لقد أساء إليّ أخي وأريد أن أنتقم لنفسي . فقال له الشيخ متضرعاً : لا يا ولدي ، هذا ليس لك ، بل لله . فقال له الأخ : لكني لن أرتاح حتى أثأر منه . فقال له الشيخ : دعنا نصلّي . فقام الشيخ وشرع يصلّي ويقول : يا رب لم نعد بحاجة إلى عنايتك واهتمامك بنا ، لأننا ننتقم لأنفسنا . فلمّا سمع الأخ هذا ، سقط عند قدميه وقال له : لن أخاصم أخي بعد اليوم . سامحني يا أبت .

٢ ـ سأل أحد الإخوة الأب سيسوى قائلا : ماذا أفعل عندما أذهب إلى الكنيسة لأنهم يمسكون بي ساعة الطعام ؟ أجابه الشيخ : إن في هذا جهداً كبيراً . فقال تلميذه إبراهيم : إذا جرى لقاء في السبت أو الأحد ، وشرب الأخ ثلاثة كؤوس ، هل هذا كثير ؟ قال الشيخ : إذا لم يكن في الوسط شيطان ، فالعدد ليس بكثير .

٣ ـ ثم قال له تلميذه : يا أبت ، لقد شِخْتَ ، دعنا نذهب ونقيم في موضع فيه بشر . أجابه الشيخ : لنذهب إلى موضع ليس فيه امرأة . فقال تلميذه : وهل ثمة مكان لا نساء فيه سوى البرية ؟ فقال الشيخ : إذاً ، فلنذهب إلى البرية .

٤ ـ مراراً كثيرة كان تلميذه يقوله له : يا أبت هلمّ لنأكل . فكان يقول له : ألم نأكل يا ولدي ؟ وكان جواب التلميذ : لا ، لم نأكل بعد . فيقول الشيخ : إذا كنا لم نأكل بعد ، هات أعطنا لنأكل .

٥ ـ مرة قال الأب سيسوى جهاراً : تشجّع يا أخي ، إذ لي ثلاثون سنة لا أتضرع إلى الله من أجل خطيئة ، لكني أصلّي هكذا : يا ربي يسوع المسيح ، استرني من لساني لأني بسببه أسقط كل يوم وأخطأ .

٦ ـ قال أخ للأب سيسوى : وكيف لا تغادرني الأهواء يا أبت ؟ أجاب : إن آنيتها في داخلك . فسلمها عربونها لكي تغادرك .

٧ ـ جلس الأب سيسوى مرة في جبل القديس أنطونيوس ، ولمّا تأخر تلميذه في الوصول ، لم يعد يرى إنساناً طيلة عشرة شهور . فلمّا سار في الجبل ، صادف مصرياً يصطاد وحوشاً مفترسة فقال الشيخ : من أين أنت ، وكم من الوقت لك ههنا ؟ أجابه الصيّاد : في الحقيقة يا أبت إني على هذا الجبل منذ أحد عشر شهراً لم أقابل أحداً سواك . فلما سمع الشيخ هذا ، دخل قلايته وهو يقرع صدره ويقول : يا سيسوى كنت تظن أنك فعلت أمراً حسناً بانقطاعك هذه المدة ، إلاّ إنك لم تبلغ إلى قامة هذا الصيّاد بعد .

٨ ـ أقيمت في جبل القديس أنطونيوس ذبيحة إلهية ، وكان ثمة وعاء خمر . فأخذ أحد الشيوخ وعاء وكأساً وجاء بها إلى الأب سيسوى ودفعها إليه ليشرب ، فشرب . فدفعها ثانية ، فشرب . ولمّا همّ بتقديمها للمرة الثالثة ، رفضها الأب وقال : كفاني ما أخذتُ ، ألا تعرف يا أخي ، ان ثمة شيطاناً ؟

٩ ـ زار أحد الإخوة الأب سيسوى في جبل أنطونيوس . وفيما كانا يتحدثان ، قال الأب سيسوى : ألم تبلغ بعد إلى قامة الأب أنطونيوس يا أبت ؟ قال له الشيخ : لو كان عندي شيء من فكره ، لأصبحتُ ناراً . إلاّ أني أعرف إنساناً بالجهد يستطيع أن يحتمل فكر الأب أنطونيوس .

١٠ ـ جاء مرة إلى الأب سيسوى إنسان من طيبة يريد أن يترهب . فسأله الأب إذا كان له أهل في العالم . فقال : عندي ولد واحد . فقال له الشيخ : إذهب واطرحه في النهر ثم تعال لتصبح راهباً . فلمّا مضى ليفعل كما قيل له ، أرسل الأب أخاً ليمنعه من عمله هذا ، فقال الأخ : كفى ، ماذا تعمل ؟ أجاب : أبي قال لي أن أرميه في النهر . فقال الأخ : لا تفعل ما قاله لك الأب لأنه قد أرسلني خصيصاً من أجل ذلك . ثم عاد إلى الأب وصار راهباً رصيناً بنعمة طاعته (على غرار ذبيحة ابراهيم الواردة في سفر التكوين) .

١١ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ترى هل كان الشيطان يطارد المبتدئين هكذا ؟ أجابه الأب : الآن يطاردهم أكثر من قبل ، لأن أيامه باتت معدودة وهو قلق ومضطرب .

١٢ ـ جُرِّب مرة إبراهيم تلميذ الأب سيسوى من الشيطان . فرأى الشيخ أن تلميذه قد سقط ، فنهض وبسط يديه نحو السماء قائلاً : يا الله ، شئت أم لم تشأ ، لن أتركك حتى تشفيه . وللحال شفي التلميذ .

١٣ ـ قال أخ للأب سيسوى : أرى أن ذكر الله يبقى في داخلي . قال له الشيخ : ليس بالأمر الهام أن يكون فكرك مع الله ، المهمّ حقاً هو أن تعاين نفسك دون الخليقة كلها ، لأن هذا يقود ، مع التعب الجسدي إلى سبيل التواضع .

١٤ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه لمّا أوشك أن يغادر العالم ، صار وجهه كالشمس بينما كان الآباء حوله ، وقال لهم : ها قد جاء الأب أنطونيوس . وبعد قليل ، تمتم قائلاً : ها قد جاء رهط الأنبياء . ثم تألّق وجهه أكثر ، فقال : ها قد وصل مصاف الرسل الأطهار . ثم ازداد وجهه تألّقاً وبدا وكأنه يكلّم أحداً ، فسأله الشيوخ : ومن هو المتحدث إليك يا أبانا ؟ قال : ها إني أرى الملائكة تقترب لتحملني ، لكني استعطفهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب . فقال له الشيوخ : لا حاجة لك إلى التوبة يا أبانا . فقال لهم الشيخ : في الحقيقة لا أظن أني قد بدأت . فأيقن الجميع أنه في قامة رفيعة جداً من القداسة والكمال . وفجأة أضاء وجهه كالشمس ، فخاف الحاضرون ، أمّا هو فقال

لهم : انظروا ها الرب قد جاء وهو يقول : « احضروا إليّ إنـاء البـرية » . وللحال أسلم الروح ، فصار في المكان برق ، وامتلأ البيت شذى عطراً .

١٥ ـ زار الأبُ أذلفيوس أسقف نيلوبوليس الأبَ سيسوى في جبل أنطونيوس . ولمّا حان وقت الرحيل ،أُعدّ لهم ليأكلوا قبل سفرهم ، وكان وقت الصوم . فلمّا فرشوا المائدة ، كان هنـاك إخـوة في الخـارج يقرعـون البـاب . فقـال الأب لتلميذه : أعطهـم ليأكلـوا لأنهـم آتـون من مكان بعيد . فقـال له الأب اذلفيوس : أتركهم يا أبت لئلا يقولوا إن الأب سيسوى يأكل عند الصباح . فلم يكترث الأب سيسوى لكلامه بل قال للأخ : إذهب واعطهم ليأكلوا ، فلمّا رأوا الطعام قالوا : وهل عندكم ضيوف ؟ هل يأكل الشيخ معكم ؟ فقال لهم الأخ : نعم . فحزنوا وقالوا : سامحك الله لأنك سمحت للأب سيسوى أن يأكل أيضاً[1] . . . . . ألا تعلمون أنه قد تعـب أياماً كثـيرة ؟ فسمعهم الأسقف ، فصنع مطانية (سجدة) ، وقال للشيخ : سامحني يا أبت ، لأني قد فكّرت فكراً بشرياً . لكن أنـت قد تمّمـت وصيّة اللـه . فقـال له الآب سيسوى : إذا لم يمجّدنا الله ، فمجد الناس باطل .

١٦ ـ زار بعض الإخوة الأب سيسوى ليسمعوا منه كلمة ، لكنه لبث طول المدة صامتاً ما عدا كلمة كان يرددها باستمرار : « سامحوني » . فلمّا رأوا سلاله ، قال للأب ابراهيم : وماذا تفعلون بهذه السلال ؟ قال له : إننا ننفقهـا هنـا وهناك . فلمّا سمع الإخوة هذا ، انتفعوا وغادروه فرحين وقد بناهم تواضعه .

١٧ ـ قال الأب عمون الريتي للأب سيسوى : عندما أقرأ في الكتب المقدسة يحثني فكري على التوقف عند كلمة يجعل منها علّة لسؤال ، قال له الشيخ : لا حاجة لك إلى هذا ، يكفي أن تقتني نقاوة الذهن وعدم الهمّ والكلام .

١٨ ـ زار مرة واحد من أهل العالم يرافقه ابنه ، الأب سيسـوى في جبـل الأب أنطونيوس . وفي الطريق ، مات ابنه ، فلم يضطرب بل حمله إلى الشيخ بإيمان

---

(١) لقد سقط مقطع صغير من النص الأصلي .

وانحنى وهو يحمله كما لو كان يريد أن يسجد ، وذلك لتقع بركة الشيخ عليه . فلمّا نهض ، ترك الولد عند قدمي الشيخ وخرج . فظن الشيخ أن الولد ما زال يصنع مطانية ، فقال له : إنهض يا بني واخرج ولم يكن يعرف أن الغلام ميت ، فوثب الصبي وطفق يعدو نحو أبيه . فلمّا رآه أبوه ، تعجب ، فعاد ودخل إلى الشيخ وأخبره بحقيقة ما جرى . فلمّا سمع الشيخ هذا حزن لأنه لم يكن يرغب بحدوث شيء كهذا له . لكنه طلب من والد الصبي أن يكتم هذا الأمر عن الجميع حتى رقاده .

١٩ ـ زار ثلاثة شيوخ الأب سيسوى بعد أن سمعوا عنه الكثير ، فقال له الأول : يا أبت ، كيف أقدر أن أنجو من النهر الناري ؟ فصمت الشيخ ولم يتكلم . ثم قال الثاني . كيف لي يا أبت أن أنجو من صريف الأسنان والدود الذي لا ينام ؟ فصمت أيضاً كما فعل مع الأول . ثم قال له الثالث : ماذا أعمل يا أبت وذكر الظلمة الخارجية ينهشني ؟ فقال لهم الشيخ : أنا لا أذكر شيئاً من هذه كلها ، لأني أعرف أن الله محب وأرجو أن يرحمني . فلمّا سمعوا هذا الكلام خرجوا حزينين ، لكن الشيخ لم يرد أن يتركهم في حزنهم ، فاستدار نحوهم وقال : هنيئاً لكم يا إخوتي ، لأن الدهشة والعجب تملكاني بعد سماعي لكم . فالأول سألني عن نهر الناروالثاني عن مكان العقاب ، والثالث عن الظلمة الخارجية . إلاّ أني أقول لكم الحق إنه إذا سيطر على ذهنكم فكر كهذا يستحيل أن تخطأوا . لكن ماذا أعمل أنا القاسي القلب لأني لا أعرف أن هناك جحيماً للناس ، لأجل هذا أخطأ كل ساعة . فتابوا وقالوا له : كما سمعنا رأينا . وغادروه منتفعين .

٢٠ ـ سأل البعض الأب سيسوى قائلين: إذا سقط أخ ، ألا ينبغي أن يتوب سنة كاملة ؟ فقال : إن هذا القول صارم . قالوا : وهل يكتفي بستة أشهر ؟ قال : هذا كثير . فقالوا : وهل يكفيه أربعون يوماً ؟ فقال : إن هذا كثير أيضاً . فقالوا : ماذا إذن ؟ إذا سقط في خطيئة ، هل يشترك مع الإخوة في المائدة فوراً ؟ قال لهم الشيخ : كلا . لكن تكفيه فترة وجيزة حتى يتوب ، لأني أؤمن أن الإنسان إذا تاب من كل قلبه ، فإن الله يقبله في غضون ثلاثة أيام .

٢١ ـ لما جاء الأب سيسوى إلى الكليزما ، جاء إليه من العالم بعض الإخوة ليروه . فتكلموا إليه كثيراً ، أمّا هو فكان صامتاً . ثم قال أحدهم : لماذا تحزنون الشيخ ؟ إنه لا يأكل . لهذا لا يقدر أن يتكلم . أجابه الشيخ : أنا لا آكل إلاّ عندما تدعوني الحاجة إلى ذلك .

٢٢ ـ سأل الأب يوسف الأب سيسوى قائلاً : متى ينبغي أن يقطع الإنسان أهواءه ؟ قال له الشيخ : وهل تروم معرفة الأزمنة ؟ قال الأب يوسف : نعم يا أبت . أجابه : عندما يأتيك الهوى ، اقطعه في الحال .

٢٣ ـ سأل أخ الأب سيسوى البترائي عن طريقة عيشه وتصرفه ، فقال له الشيخ: قال دانيال : « لم آكل طعاماً شهياً » (١٠ : ٣) .

٢٤ ـ قالوا عن الأب سيسوي إنه لمّا كان في القلاية كان دائماً يغلق على نفسه .

٢٥ ـ جاء بعض الآريوسيين إلى الأب سيسوى في جبل الأب أنطونيوس وبدأوا يثلبون أعمال الأرثوذكسيين . أمّا هو فلبث صامتاً . لكن بعد حين دعا تلميذه وقال له : ابراهيم ، أحضر إليّ كتاب القديس أثناسيوس واقرأه . أمّا هم فكانوا صامتين ، فانكشفت بدعتهم وهكذا أطلقهم بسلام .

٢٦ ـ جاء مرة الأب أمون من ريثو إلى كليزما لزيارة الأب سيسوى . فلمّا رآه حزيناً على تركه البرية ، قال له : ولماذا أنت حزين يا أبت ؟ ماذا كان بإمكانك أن تعمل في البرية بعد أن دبّت إليك الشيخوخة ؟ فحدّق به الشيخ بنظرات تنمّ عن انقباض وقال له : ماذا أسمع يا أمون ؟ ألم تكن تكفيني حرية فكري هناك ؟

٢٧ ـ جلس الأب سيسوى مرة في قلايته ، ولمّا قرع تلميذه الباب ، صرخ الشيخ قائلاً : إذهب يا ابراهيم . لا تدخل . لا وقت في هذه اللحظة عند من هو ههنا .

٢٨ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : كيف هجرت الاسقيط حيث كنت فيه مع الأب أور وجئت لتقيم ههنا ؟ قال له الشيخ : عندما بدأ عدد السكان يتزايد وسمعت أن الأب أنطونيوس قد رقد ، نهضت وأتيت إلى هنا . ولمّا وجدت

المكان هادئاً ، أقمت ردحاً من الزمن . قال له الأخ : وكم من الوقت لك ههنا ؟ أجابه الشيخ : إثنان وسبعون سنة .

٢٩ ـ قال الأب سيسوى : إذا كان ثمة من يعتني بك ، لا ينبغي أن تأمره .

٣٠ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : إذا كنا نمشي وضلّ مرشدنا الطريق ، هل نلفت انتباهه ؟ أجاب الشيخ : كلا . فقال الأخ : وهل نتركه على ضلاله فنتيه معه ؟ أجاب الشيخ : وما العمل إذاً ، هل نأخذ عصاً ونضربه بها ؟ أنا أعرف إخوة بينما كانوا يمشون ، ضلّ مرشدهم الطريق في الظلام ، وكانوا إثني عشر وقد عرف الجميع أنهم ضلّوا . لكن جاهد كل واحد منهم كي لا يقول شيئاً . وعند طلوع الفجر ، أدرك الدليل أنه قد ضلّ ، فقال لهم : سامحوني يا إخوتي لأني قد ضللت . فقال له الجميع : كنّا على علم بذلك ، إلاّ أننا صمتنا . فلمّا سمع هذا تعجب وقال : إن الإخوة يضبطون أنفسهم حتى الموت دون أن يتكلموا . فمجّد الله . أمّا طول الطريق التي ضلّوا فيها ، فكان اثنتي عشر ميلاً .

٣١ ـ جاء بعض من الأعراب وسلبوا الشيخ وتلميذه . فخرجا إلى البرية ليجدا شيئاً من الطعام . فرأى الشيخ روث الإبل فكسرها ، فوجد فيها بعض حبات من الشعير ، فأكل حبة واحدة وترك أخرى في يده . فلمّا دنا أخوه ، وجده يأكل ، فقال له : أهذه هي المحبة ؟ إنك وجدت ما تأكله دون أن تشركني به ؟ فقال له الأب سيسوى : لم أظلمك يا أخي . هذه حصتك قد احتفظت بها في اليد الأخرى .

٣٢ ـ قالوا عن الأب سيسوى الطيبي إنه أقام في قلمون أرسنويتي . وحدث أن مرض شيخ آخر في دير ، فلمّا علم بهذا ، حزن جداً . ولمّا كان يصوم يومين يومين ، اتفق أن ذلك اليوم كان يوم صيام ، فلمّا سمع هذا ، قال في نفسه : ماذا أعمل ؟ إذا ذهبت قد يرغمونني على تناول الطعام . وإذا تأخرت حتى

الغد ، ربما يموت . سأفعل التالي : أذهب ولا آكل . وهكذا مضى صائماً وقد أتمّ وصية الله بدون أن يهمل نسكه وجهاده حباً بالرب .

٣٣ ـ تحدث أحد الآباء عن الأب سيسوى القلموني ، إنه أراد مرة أن يغلب النعاس ، فعلّق نفسه بصخرة كبيرة ، فجاء ملاك وحلّ قيده وطلب منه ألاّ يفعل ذلك وألاّ يسمح للآخرين بالتشبه به .

٣٤ ـ سأل أحد الآباء الأب سيسوى قائلاً : إذا كنت في البرية وجاء بربري يريد قتلي وقويت عليه ، هل أقتله ؟ قال له الشيخ : كلا . إنما سلّمه إلى الله ، لأنه عندما تحل تجربة ما بالإنسان ، فليقل : « إن هذا حدث من أجل خطيئتي » . وإذا كان الأمر صالحاً ، قل : هذا تدبير يمين الله .

٣٥ ـ توسّل أخ إلى الأب سيسوى الطيبي قائلاً : قل لي كلمة . أجابه الشيخ : وماذا أقول لك ؟ إني أقرأ العهد القديم وأرجع إلى العهد الجديد .

٣٦ ـ هو نفسه سأل الأب سيسوى البترائي عمّا قاله الأب سيسوى الطيبي ، فقال له الشيخ : أنا في الخطيئة أنام وفي الخطيئة أستيقظ .

٣٧ ـ قالوا عن الأب سيسوى الطيبي إنه كان يرجع إلى قلايته فور الخروج من الكنيسة . فقالوا : إن فيه شيطاناً . أمّا هو فكان يصنع إرادة الله في ذلك .

٣٨ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ماذا أعمل وقد سقطت يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إنهض من جديد . قال الأخ : لقد نهضت لكني عدت وسقطت . قال له الشيخ : إنهض أيضاً من جديد . قال له الأخ : وإلى متى يكون ذلك ؟ أجابه الشيخ : إلى أن تنتهي ، إمّا إلى الخير أو إلى السقطة ، لأن الإنسان يسلك حيثما وجد .

٣٩ ـ سأل أخ الشيخ قائلاً : ماذا أعمل إذا تضايقت من عمل اليد ؟ فأنا أحب الحياكة لكني لا أعرف كيف أتمّها ؟ أجابه الشيخ : قال الأب سيسوى إنه لا يليق بنا أن نمارس الأعمال التي تريحنا .

٤٠ ـ قال الأب سيسوى : أطلب الله ولا تسأل عن مكّان سكناه .

٤١ ـ وقال أيضاً : الخجل وعدم مخافة الله كثيراً ما يحملان الخطيئة .

٤٢ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له الشيخ : إن ما تطلبه هو الصمت الكثير مع التواضع ، لأنه مكتوب « هنيئاً للذين يثبتون فيه » (أشعياء ٣٠ : ١٨) . هكذا يمكنك أن تخلص .

٤٣ ـ قال الأب سيسوى : ازدر بنفسك واجعل مشيئتك وراءك وكن عديم الهمّ ، فتجد راحة .

٤٤ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ماذا أعمل بالأهواء يا أبت ؟ قال له الشيخ : « إن كل واحد منا يجرّب من شهوته » (يعقوب ١ : ١٤) .

٤٥ ـ توسّل أخ إلى الأب سيسوى قائلاً : قل لي كلمة واحدة فقط . أجابه الشيخ : لماذا ترغمني على الكلام ؟ ما تراه ، إياه إفعل .

٤٦ ـ مضى الأب ابراهيم تلميذ الأب سيسوى ذات يوم للقيام بخدمة . ولم يكن الأب سيسوى يقبل أن يخدمه سواه في غيابه . فقال : وهل أقدر أن أدعو إنساناً آخر يقوم بخدمتي في غيابه ؟ لكنه لبث على موقفه محتملاً الأتعاب كلها حتى عودة تلميذه .

٤٧ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه عندما كان يجلس كان يقول بصوت عال : يا للشقاوة ! فسأله تلميذه : وما بك يا أبت ؟ أجابه : إنني أطلب من يكلمني فلا أجد[1] .

٤٨ ـ خرج الأب سيسوى مرة من جبل القديس أنطونيوس إلى الجبل الخارجي في طيبة ، وأقام هناك . وكان في ذلك الموضع بعض المليتيانيين المقيمين في قلمون أرسنويتي . فلمّا علم البعض أنه خرج إلى الجبل الخارجي ، طلبوا أن يروه ،

(١) في كلمته هذه تذكّر للنادرة القديمة «أطلب إنساناً».

فقالوا : ماذا نعمل ؟ (لأنه كان في ذلك الجبل مليتيانيون) . نحن نعرف أن الشيخ لا يتأثر بهم . ونحن نريد أن نقابله لكننا نخشى الوقوع في تجربة الهراطقة . ولئلا يقابلوا الهراطقة ، لم يذهبوا لرؤيته .

٤٩ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه مرض وكان يتكلم أثناء مرضه مع بعض الشيوخ الجالسين بقربه . قالوا له : ماذا ترى يا أبانا ؟ أجابهم : إني أرى البعض يأتون إليّ ، لكني استعطفهم كي يتركوني أتوب قليلاً . فقال له أحد الشيوخ : وإذا تركوك ، هل تنتفع من الوقت الزهيد هذا من أجل التوبة ؟ قال لهم : إذا لم أكن قادراً على ذلك ، على الأقل اتنهد في نفسي وهذا يكفيني .

٥٠ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه لما جاء إلى الكليزما ، مرض . وبينما كان مع تلميذه في القلاية ، قرع الباب . فأدرك الشيخ ما في الأمر ، فقال لتلميذه ابراهيم : قل للطارق إنني سيسوى . أنا في الجبل . أنا سيسوى طريح الفراش وعلى وسادة . فلما سمع الواقف وراء الباب هذا الكلام ، للحال توارى عن الأنظار .

٥١ ـ قال الأب سيسوى الطيبي لتلميذه : قل لي ، ماذا ترى فيّ ، وأنا أقول لك ، ماذا أرى فيك . قال تلميذه : أنت صالح في ذهنك وخشن قليلاً . أجابه الشيخ : أنت صالح ، لكنك بليد العقل .

٥٢ ـ قالوا عن الأب سيسوى الطيبي إنه لم يذق خبزاً . وفي عيد الفصح ، رجا منه الاخوة أن يأكل معهم ، فأجابهم قائلاً : عليّ القيام بواحدة فقط ، إمّا أن آكل خبزاً ، أو أن أتناول الطعام الذي أعددتموه . قالوا له : كلْ خبزاً فقط . فعمل بما قالوا وآكلهم .

الأب سلوان

١ ـ زار الأب سلوان وتلميذه زخريا أحد الأديار ، فأجبروهما على الأكل قليلاً قبل السفر . فلمّا خرجا ، وجد التلميذ ماء في الطريق ، فأراد أن يشرب . فقال له الشيخ : زخريا ، اليوم صوم . فقال ذاك : ألم نأكل يا أبت ؟ قال الشيخ : ما أكلناه ، كان من المحبة . أمّا هنا ، فلنحتفظ بصيامنا يا ولدي .

٢ ـ هو نفسه كان مع الاخوة واختطف بغتة في حالة من الوجد الروحي ، فطرح وجهه على الأرض . ثم نهض بعد قليل وهو يبكي ، فرجا منه الإخوة قائلين : ما بك يا أبانا ؟ فظل يبكي وهو صامت . ولمّا ألحّوا عليه قال : اختطفت إلى ساعة الدينونة ، وهناك رأيت الكثيرين ممن هم مثلنا في العذاب ، والكثيرين من أهل العالم رأيتهم يذهبون إلى الملكوت . وكان الشيخ ينتحب ولم يرد أن يخرج من قلايته . وإذا اضطر إلى الخروج كان يغطي وجهه ويقول : لماذا أرى هذا النور الوقتي دون أن يكون لي نفع ؟

٣ ـ دخل عليه مرة تلميذه إبراهيم فلمحه في اختطاف روحي ويداه ممدودتان إلى السماء ، فخرج تواً واغلق الباب . ولمّا عاد في الساعة السادسة والتاسعة ، وجده في هدوء ، فقال له : ما بك يا أبت؟ قال له الشيخ : كنت مريضاً يا ولدي . فأمسك التلميذ قدميْ معلمه وقال : لا أتركك قبل أن تخبرني بما رأيت . فقال الشيخ : اختطفت إلى السماء ورأيت الله وكنت هناك إلى الآن . ولكن ها أنا هنا ثانية .

٤ ـ بينما كان الأب سلوان في جبل سيناء ، مضى تلميذه زخريا إلى الخدمة وقال

للشيخ : أطلق الماء وارو البستان . فلما خرج غطّى وجهه بالعمامة فلم يكن يرى سوى خطاه . وفي تلك الساعة حدث أن زاره أحد الاخوة . فلمّا رآه من بعيد ، أدرك ما كان يفعله . ولمّا دخل عليه قال له : قل لي يا أبت ، لماذا كنت تغطّي وجهك بالعمامة وأنت تروي البستان ؟ أجابه الشيخ : لئلا تنشغل عيناي بالشجر يا ولدي ، فينشغل عقلي بها دون العمل الحقيقي .

٥ ـ زار أخ الأب سلوان في جبل سيناء . فلمّا رأى الإخوة يعملون ، قال للشيخ : لا تعملوا للطعام البائد لأن مريم قد اختارت النصيب الصالح (يوحنا ٦ : ٢٧ ، لوقا : ١٠ : ٤٢) . فقال الشيخ لتلميذه : زخريا ، أعطِ الأخ كتاباً وأوصله إلى قلاية فارغة . فلمّا كانت الساعة التاسعة ، كان ذاك ينتبه إلى الباب علّهم يرسلون من يدعوه إلى الطعام . لكن خاب أمله في الإنتظار إذ لم يأت أحد لدعوته . فنهض وجاء إلى الشيخ وقال له : ألم يأكل الإخوة يا أبت ؟ قال له الشيخ : نعم . فقال الأخ : ولماذا لم تدعوني إلى تناول الطعام ؟ أجابه : لأنك إنسان روحي ولا تحتاج إلى هذا الطعام . أمّا نحن فإننا بشر ونحتاج إليه ، لهذا نعمل . اخترت النصيب الصالح لأنك كنت تقرأ طوال النهار ، ولا تريد أن تأكل طعاماً بشرياً (جسدياً) . فلمّا سمع هذا ، سجد له وقال : سامحني يا أبت . فقال له الشيخ : في كل الأحوال ، تحتاج مريم إلى مرثا ، لأن مريم تُمتدح بسبب مرثا .

٦ ـ سأل بعض الإخوة الأب سلوان وقالوا له : أيَّ نسك مارست يا أبت ، حتى اكتسبت هذه الحصافة ؟ فقال لهم : في الحقيقة يا إخوتي إنني لم أترك في قلبي فكراً يغضب الله .

٧ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه أغلق على نفسه في قلايته ومعه بعض من حبّات الحمّص صنع منها مئة غربال . فجاء من مصر رجل معه حمار محمَّل بالخبز وقرع باب قلايته وأفرغ حمولة الحمار . ثم جعل الشيخ السلال على ظهر الحمار وأطلقه .

٨ ـ قالوا عن الأب سلوان إن تلميذه زخريا خرج بدونه، فأخذ معه الإخوة وطاف حول سياج الحديقة وجعله أوسع مما كان . فلمّا علم الشيخ بهذا ، حمل ثوبه وخرج وهو يقول للإخوة : صلّوا لأجلي . فلما رأوه سقطوا عند قدميه وقالوا له : قل لنا ، ما بك يا أبانا ؟ فقال لهم : لن أعود إلى القلاية ولن يغادر هذا الثوب جسدي حتى تعيدوا السياج إلى ما كان عليه . فأعادوه إلى مكانه الأول . عندئذ عاد الشيخ إلى قلايته .

٩ ـ قال الأب سلوان : أنا عبد وسيدي قال لي : أتمم عملي وأنا أعولك . من أين ؟ لا تسأل . سواء عندي أم أني أسرق ، أو أقترض ، أنت لا تسأل ، لأن هذا لا يعنيك . ما عليك إلاّ أن تعمل وحسب ، وأنا أعولك . لذا إذا عملتُ ، فإني أعيش من أجري . وإذا لم أعمل ، أعيش من التصدق والإحسان .

١٠ ـ وقال أيضاً : وا حسرتاه على من كان اسمه أكبر من عمله !!

١١ ـ سأل الأب موسى الأب سلوان قائلاً : هل يمكن أن يبتدىء المرء من جديد كل يوم ؟ أجابه الشيخ : إذا كان نشيطاً ، يمكنه أن يبتدىء كل ساعة .

١٢ ـ قال أحد الشيوخ إن إنساناً قابل الأب سلوان وعندما رأى وجهه وجسمه يلمع كالملاك ، سقط على وجهه . وقد قال إن هذه الموهبة يملكها آخرون أيضاً .

الأب سيمون

١ ـ جاء مرة أحد الولاة لرؤية الأب سيمون . فلمّا رآه الشيخ ، حمل حزامه ومضى إلى الخوص لينظفه . فلمّا وصل الضيوف ، نادوا : يا أيها الشيخ ، أين هو الناسك ؟ قال لهم : ليس ثمة ناسك ههنا . فلما سمعوا هذا ، قفلوا راجعين .

٢ ـ ومرة أخرى جاء أحد الولاة لرؤيته ، فقال له الإكليريكيون قبل وصوله : يا أبانا ، استعد لأن الوالي آت لأخذ بركتك بعد أن سمع بسيرتك . فقال لهم : نعم ، إني أستعد . فقام وارتدى ثوبه وأمسك قطعة خبز وجبنة في يديه ، ومضى إلى الباب حيث جلس يأكل . فلمّا جاء الوالي ترافقه حاشيته ، لمحوه ، وهزؤا به قائلين : هل هذا هو الناسك الذي سمعنا عنه ؟ للحال ودونما أي تردد ، قفلوا عائدين .

الأب سوباتروس

١ ـ توسّل أحد الإخوة إلى الأب سوباتروس قائلاً : أعطني وصيّة أحفظها . قال له الشيخ : لا تدع امرأة تدخل قلايتك . لا تقرأ كتباً منحولة . لا تتباحث عن صورة الله ، فهذه ليست هرطقة إنما هي جهالة ونزاع بين الطرفين . في الحقيقة إن هذا أمر يستحيل إدراكه من البشر[1] .

(١) إن مسألة صورة الله كانت موضوعاً لاهوتياً حاداً في مصر في أواخر القرن الرابع .

الأب سارمتا

١ ـ قال الأب سارمتا : أفضّل إنساناً خطيء ، لكنه يعرف خطيئته ويتوب عليها، على إنسان لا يخطيء بل يرى نفسه باراً .

٢ ـ قالوا عن الأب سارمتا إنه كان مراراً كثيرة ينسك أربعين يوماً بإرادة الأب بيمن . وكانت هذه الأيام تنقضي كلا شيء . فجاء إليه الأب بيمن وقال له: قل لي : ماذا رأيت وأنت تبذل كل هذا الجهد والتعب ؟ أجابه الأب : ليس في الأمر زيادة . قال له الأب بيمن : لن أتركك حتى تقول لي . فقال له : واحدة وجدت وهي إني إذا قلت في نومي : إذهب ، فإنه يذهب . وإذا قلت : تعال ، فإنه يأتي .

٣ ـ سأل أخ الأب سارمتا قائلاً: أفكاري تقول لي: «لا تعمل»، بل، كل، واشرب ، ونم . أجابه الشيخ : كُلْ عندما تجوع . واشرب عندما تعطش . ونم عندما يضربك النعاس . ثم جاء شيخ آخر إلى ذلك الأخ فأطلعه على ما سمعه من الأب سارمتا ، فقال له الشيخ : إن ما قاله لك الشيخ هو أن تأكل عندما تجوع وأن تشرب عندما تعطش . وإذا ما سهرت ونعست ، نمْ .

٤ ـ وقال الأخ نفسه للأب سارمتا : أفكاري تقول لي : أخرج وتفقّد الإخوة . أجابه الشيخ : لا تنصت إلى ما يقوله فكرك في هذا الشأن ، إنما قلْ : في المرة الأولى استجيب لك ، لكن هذه المرة لا أقدر أن أطيعك .

الأب سيرابيون

١ ـ مرّ الأب سيرابيون في إحدى قرى مصر ، فرأى زانية تقف أمام باب بيتها ، فقال لها : انتظريني عند المساء ، لأني أريد أن أقضي الليل بقربك . فقالت له : حسناً يا أبت . فاستعدّت وأعدّت السرير . ولمّا هبط الليل جاء الشيخ وبعد أن دخل قال لها : هل أعددت السرير ؟ قالت له : نعم يا أبت . فأغلق الباب وقال لها : انتظري قليلاً إذ هناك قانون ينبغي أن أطبقه . فبدأ الشيخ صلاته من المزامير ، وكان عند كل مزمور يصلّي من أجلها متضرعاً إلى الله كي تتوب وتخلص . فاستجاب الله لطلبه . فوقفت المرأة ترتجف وهي تصلّي بجانب الشيخ . ولمّا انتهى الشيخ من تلاوة المزامير ، وقعت المرأة على الأرض . فبدأ الشيخ يقرأ كتاب الرسائل ، وقد قرأ فيه الكثير ، إلى أن انتهى من صلاته . فتأثرت المرأة وأدركت أنه لم يأت من أجل الخطيئة إنما من أجل خلاصها . فركعت عند قدميه وقالت له : اعمل لي معروفاً وخذني إلى حيث أقدر أن أشكر الله . فقادها الشيخ إلى دير للعذارى وسلّمها إلى الأم وقال لها : خذي هذه الأخت ولا تضعي عليها نيراً أو وصية كسائر الأخوات ، لكن أعطها ما تريد ، وكما تريد ، واسمحي لها أن تحيا . وبعد مضي أيام قالت : أنا امرأة خاطئة وأريد أن آكل كل يومين . ثم أنها بعد مدة أخرى قالت : عندي ربوات من الخطايا ، وأريد أن آكل كل أربعة أيام . وبعد أيام أخرى ، قالت للأم : لقد أحزنت الله كثيراً بخطاياي وآثامي ، لذا استحلفك بالله أن تُحسِني إليّ وتجعلي لي قلاية منفردة ، مسدودة ، واجعلي لي ثقباً في الحائط آخذ منه عمل اليد وحاجتي من الطعام . ففعلت الأم كما طلبت ، وهكذا أمضت هذه التائبة حياتها وهي تشكر الله .

٢ ـ سأل أحد الاخوة الأب سيرابيون قائلاً : قل لي كلمة واحدة فقط . أجاب الشيخ : وماذا أقول لك ؟ هل أقول إنك سلبت مال الأرامل واليتامى وجعلتها في هذه الخزانة ؟ لأنه عرف أن الخزانة كانت تعجّ بالكتب .

٣ ـ وقال الأب سيرابيون : كما أن جنود الملك لا يستطيعون أن يلتفتوا يمنة ويسر عندما يكونون في خدمته ، هكذا حال الإنسان عندما يمثل في حضرة الله على الدوام ، إذ لا يمكن أن تخيفه أعمال العدو .

٤ ـ زار أحد الإخوة الأب سيرابيون ، فحثّه الأب على الصلاة حسب عادة الرهبان . أمّا ذاك الذي كان يصوّر نفسه أنه خاطىء وغير مستحق للاسكيم الرهباني ، فلم يطعه . فطلب منه أن يغسل قدميه ، ثم عاد وكرّر عليا الكلمات ذاتها فلم يقبل . فدفع له الشيخ طعاماً ليأكل وكان هو يأكل معه ، ثم أوصاه قائلاً : يا ولدي ، إذا ابتغيت المنفعة ، لا تغادر قلايتك . انتبه لنفسك وعمل يديك . فالخروج لا يجديك نفعاً كالبقاء . فلما سمع الأخ هذا الكلام ، تمرمر وتبدّل شكله دون أن يتمكن من تفادي انتباه الشيخ . ثم قال له الأب سيرابيون : إلى الآن كنت تقول إنك خاطىء وكنت تلوم نفسك لأنك غير مستحق أن تحيا . لكن لما وجّهت إليك ملاحظة بمحبة ، ثارت ثائرتك . فإذا أردت أن تكون متواضعاً ، درّب نفسك على تحمل ما يأتيك من الآخرين ولا ترضى بالكلمات العديمة النفع وحسب . فلمّا سمع هذا ، سجد له وعاد منتفعاً .

الأب سيرينيوس

١ ـ قالوا عن الأب سيرينيوس إنه كان يتقشف كثيراً ويأكل خبزتين فقط . فجاء إليه الأب أيوب زميله ، وهو ناسك كبير ، وقال له : في قلايتي احتفظ بقانوني ، لكن عندما أخرج ، أتنازل للإخوة . قال له الأب : إن حفظك لقانونك ليس فضيلة كبيرة عندما تكون في قلايتك ، لأن المهم هو أن تحفظه عندما تخرج .

٢ ـ قال الأب سيرينيوس : أمضيت السنة وأنا أجني وأخيط وأحوك . لكن بالرغم من كل هذا ، لولا يد الله التي كانت تشبعني ، ما كان بالإمكان أن أشبع أبداً .

الأب اسبريدون

١ ـ قالوا عن الأب اسبريدون إنه كان راعياً باراً جداً فاستأهل أن يصير راعياً للناس . وصار أسقفاً على مدينة في قبرص تدعى تريميثووس ، فكان بتواضعه يرعى خرافه . وحدث أن دخل اللصوص مرة في نصف الليل إلى الحظيرة خفية ، وحاولوا أن يسرقوا الخراف ، لكن الله الذي يخلّص الجميع ، خلّصهم . وذلك لأن اللصوص قيّدوا في الداخل بقوة غير منظورة . وعند الصباح جاء الراعي إلى الخراف ولمّا رآهم يعقدون أيديهم وراء ظهورهم ، فهم ما جرى . وبعد الصلاة حلّ اللصوص ووبّخهم وحثّهم على العيش من أتعابهم الشريفة وليس من التعدي والسرقات ، ثم أطلقهم بعد أن أعطاهم كبشاً وقال لهم بفرح : فعلت هذا ، لكي لا تظهروا انكم سهرتم عبثاً .

٢ ـ وقالوا أيضاً إنه كان عنده ابنة عذراء اسمها سلام كانت تضارع أباها في التقوى . فأودع أحد معارفها حلية ثمينة عندها . أمّا هي فطمرت الوديعة في الأرض للحفاظ عليها أكثر . وبعد مدة ماتت . ثم حدث أن جاء صاحب الأمانة ، فلم يجد العذراء فجاء إلى أبيها ، أي إلى الأب اسبريدون وكلّمه تارة

بالتهديد وطوراً بالتوعيد ، إنه يريد الأمانة . فمضّى الأب اسبريدون إلى الـ
وتضرع إلى الله أن يريه القيامة قبل أوانها ، إذ اعتبر أنه سبّب أذى لصاحـ
الأمانة . فاستجيب طلبه ، وظهرت الإبنة حية أمام أبيها وأومأت إلى الموض
الذي دفنت الأمانـة فيه ، ثم عادت إلى رقادهـا من جديد . فحمـل الشيـ
الوديعة وأعادها إلى صاحبها .

الأب سايو

١ ـ قالوا عن الأب سايو والأب موى إنهما سكنا معاً . وعُرف الأب سايو بطاعة
وقسوته . فقال له الشيخ مجرّباً : إذهب واسرق . فمضى باسم الطاعة وسرق
مما للإخوة شاكراً الله على كل شيء . أمّا الشيخ فأخـذ ما سرقـه وأعـاده إلى
أصحابه خفية . وذات يوم بينما كانا يمشيان معاً ، سقم ومرض ، فتركه الأب
منهوك القوى . ولمّا جاء قال للإخوة : اذهبوا واحضروا لي سايو ، لأنه ملقى
على الأرض ضعيف القوى . فمضوا وجاؤوا به إلى الشيخ .

الأم سارة

١ ـ قالوا عن الأم سارة إن شيطان الزنى حاربها بقوة طيلة ثلاث سنين وما صلّت إلى الله أن تغادرها الحرب ، بل كانت تقول : يا الله أعطني القوة .

٢ ـ ومرة هاجمها شيطان الزنى بضراوة ودسّ عليها أمور العالم الفانية . أمّا هي وبدون أن تتخلى عن مخافة الله والنسك ، صعدت للحال إلى غرفتها للصلاة . فظهر لها روح الزنى جسدانياً وقال لها : لقد غلبتني يا سارة . فقالت : سيدي المسيح هو الذي غلبك لا أنا .

١ ـ قالوا عنها إنها أقامت عند النهر ستين سنة دون أن تنحني لتنظر إليه .

ـ وذات يوم جاءها شيخان ناسكان كبيران من تخوم بيلوسيوس . وبينما كانا في الطريق إليها ، قالا فيما بينهما : هلمّ نذلّل هذه العجوز . ولما وصلا ، قالا لها : انتبهي أن يناهضك فكرك فتقولي ها قد جاء النساك إليّ مع أنيّ امرأة . فقالت لهما : أنا في الطبيعة امرأة ، لكني في الفكر لست هكذا .

ـ قالت الأم سارة : إذا طلبت إلى الله أن يكون الجميع مرتاحين من جهتي ، فسأكون عند باب كل واحد تائبة . إلاّ أني سأصلّي كي يكون قلبي عفيفاً تجاه كل واحد .

ـ وقالت أيضاً : أضع رجلي على السلّم ، وقبل أن أصعد عليه ، أجعل الموت نصب عيني .

ـ وقالت أيضاً : يحسن للبشر أن يتصدّقوا حتى ولو كان السبب إرضاء للناس ، لأن الإحسان يحقق لنا إرضاء الله .

زار بعض الاسقيطيين الأم سارة فقدمت لهم طعاماً . أمّا هم فأكلوا المهترىء وتركوا الشهي . فقالت لهم : في الحقيقة إنكم أسقيطيون .

الأم سينكليتيكي

١ - قالت الأم سينكليتيكي : يكثر في البداية التعب والجهاد عند الذين يتقدمون نحو الله ، لكن بعد ذلك يغمرهم فرح لا يوصف . وهم كالذين يريدون إشعال النار ، يلفحهم الدخان فتدمع عيونهم لكنهم يبلغون إلى ما يرومون ، لأنه يقول : « إن إلهنا نار آكلة » (عبرانيين ١٢ : ٢٩) . هكذا يجب علينا أن نضرم النار الإلهية بدموع و أتعاب .

٢ - وقالت أيضاً : يجب علينا نحن الذين اخترنا هذه المهمة أن نقتني التعقّل الأسمى ، لأن التعقّل يبدو طريقاً صحيحاً لنا ولأهل العالم أيضاً . لكن يرافقه جهل بسبب ارتكاب الخطيئة بكل الأحاسيس الكثيرة الأخرى . في الحقيقة أمثال هؤلاء لا يرون كما يجب ، ولا يضحكون كما يليق .

٣ - وقالت أيضاً : كما تبعد الأدوية القوية الحادة الوحوش السامة ، هكذا تبعد الصلاة مع الصوم الفكر الشرير .

٤ - وقالت أيضاً : لا يغريك تنعّم أهل العالم الأغنياء كما لو أن فيه شيئاً ثميناً بسبب اللذة الجوفاء . أولئك يوقّرون فن الطهي ، أمّا أنت فبالصوم عن الأطعمة تسمو فوق لذائذ وطيّبات أطعمتهم ، لأنه يقول : « إن النفس التي تحيا بالتنعّم ، تهزأ بالشهد » (أمثال ٢٧ : ٧) . لذا لا تشبع من الخبز ولا ترغب الخمر .

٥ - سئلت المغبوطة سينكليتيكي : هل عدم القنية هو صلاح كامل ؟ قالت : إنه الأكمل عند من يقدر ، لأن من يحتمله يزرع في جسده حزناً ، إلاّ أنه يزرع في نفسه سروراً وراحة . فكما أن الثياب الخشنة عندما تبلى

تنغسل ، هكذا النفس القوية ، تتقوى أكثر بالجوع الطوعي .

٦ ـ وقالت أيضاً : إذا كنت تعيش في شركة ، لا تغيّر مكانك ، لأنك بذلك تتأذى كثيراً . في الحقيقة كما أن الدجاجة عندما تغادر البيضة ، تهملها ، هكذا حال الراهب أو العذراء ، عندما يتنقل من موضع إلى آخر ، يفتر وتنطفىء جذوة الإيمان فيه .

٧ ـ وقالت أيضاً : كثيرة هي مكائد العدو . ألم يغلب النفس بالجوع فيقدّم لها الغنى مأكلاً ؟ ألم يحقق ذلك بالشتائم والتوبيخات ؟ يلقي المدائح والمجد ، لكن عندما ينغلب بالصحة والعافية ، فإنه يسقم الجسد . وبما أنه قد فشل في خداع النفس باللذات ، يحاول أن يجعلها تنحرف بالآلام غير الطوعية ، فيسبّب آلاماً لا تُحتمل ، يُعكر بها محبة الله عند قليلي الإهتمام فيضرب الجسد بالحمى ، فيشقى بالعطش الشديد . وإذا أصابتك هذه وأنت خاطىء ، تذكّر العذاب الآتي والنار الأبدية والعقوبات القضائية ولا تبالي بالحاضرات . وافرح لأن الله قد تفقّدك . وليكن القول التالي على لسانك كل حين : « أدباً أدّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني » (مزمور ١١٧ : ١٨) . كنت حديداً ، لكنك بالنار تطرح الصدأ . وإذا كنت باراً وضربك المرض ، فإنك تنتقل من الكبيرات إلى الأكبر . هل أنت من ذهب ؟ إلاّ أنك بالنار تصبح أكثر حنكة وخبرة . هل علق في جسدك روح شرير ؟ ابتهج وافرح ، وانظر من تماثل . لقد أُهّلت لحظ الرسول (٢ كور ١٢ : ٧) . هل تُمحّص بالنار ؟ هل تؤدّب بالعذابات ؟ أنظر ماذا يقول الكتاب الطاهر : « لقد جزنا النار والماء لكنك أخرجتنا إلى منتجع الراحة » (مزمور ٦٥ : ١٢) . وإذا كنت قد اختبرت الأول ، انتظر الثاني . وإذ تتمّم الفضيلة ردّد كلمات القديس : « أنا بائس ومتألم . . . » (مزمور ٦٨ : ٣) . إلاّ أنك ستصبح كاملاً بالضيقات الكثيرة والمختلفة ، لأنه يقول : « لأنك في الحزن فرّجت عني . . . » (مزمور ٤ : ٢٠) . فلننسك في نفوسنا وفقاً لهذه الرياضات ، فالخصم أمام أعيننا على الدوام .

٨ - وقالت أيضاً : إذا أزعجنا المرض ، لا نحزن إذا لم نقدر أن نسبّح الرب بصوتنا ، لأن هذا يكون لتنقية الأهواء . في الحقيقة إن الصوم والإنطراح في الفراش شُرّعا لنا من أجل الشهوات . هذا هو النسك الكبير: أن نحتمل الأمراض ونرفع التسابيح الشكرية لله .

٩ - وقالت أيضاً : إذا كنت صائماً ، لا تتخذ المرض ذريعة ، لأن الذين لا يصومون قد سقطوا كثيراً في هذه الأمراض . هل ابتدأت بالعمل الصالح ؟ لا تتوقف لئلا يعترضك العدو ، لأنك بصبرك تبطله . فالذين يبحرون يواجهون الرياح الموافقة ، لكن عندما ينصبون الأشرعة ، تعترضهم رياح مضادة . إلاّ أن البحارة لا ينزلون حمولة السفينة بسبب الرياح لأنهم بعد أن يرتاحوا قليلاً يواجهون العاصفة ويكملون الإبحار . هكذا نحن عندما يعاكسنا ريح ونرفع الصليب بدل الأشرعة ، فلنكمل الإبحار بلا فزع وخوف .

١٠ - وقالت أيضاً : إن الذين يجمعون الغنى الحسّي بأتعاب البحر وأخطاره ، لا يكتفون بما يجنون ، إنما يطلبون المزيد . والحاضرات يعتبرونها كلا شيء متطلّعين إلى المستقبلات . أمّا نحن ، فبدون أن يكون لنا شيء من الأمور المرغوب فيها ، لا نريد أن نقتني شيئاً بسبب مخافة الله .

١١ - وقالت أيضاً : ماثل العشّار لئلا تدان مع الفرّيسي (لوقا ٨ : ١٠) . آثر وداعة موسى لكي تحوِّل قلبك الصلد إلى ينابيع مياه (مزمور ١١٣ : ٨) .

١٢ - وقالت أيضاً : يخاطر من شرع يعلّم دون أن يرتقي إلى السماميات بسيرته العملية ، لأن من كان عنده بيت قد تصدع ، وأضاف الغرباء ، فإنه سيؤذيهم بسقوط البيت . كذلك هؤلاء إذا لم يبنوا أنفسهم أولاً ، فإنه سرعان ما يهلكون زائريهم . إذ إنهم بالكلمات جمعوهم للخلاص ، وبفساد الأسلوب ، أساؤوا إلى الرياضيين .

١٣ ـ وقالت أيضاً : حسن أن لا تغضب . ولكن إذا حصل وغضبت، لا يسمح لك الرب بغضب يوم كامل قائلاً : « لا تغرب الشمس على غضبكم » (أفسس ٤ : ٢٦) . فهل تنتظر أنت إذن ،حتى يغرب زمان حياتك كله ؟ لماذا تمقت من أحزنك ؟ ليس هو الذي ظلمك ، بل الشيطان . فأنت مدعو أن تمقت المرض لا المريض .

١٤ ـ وقالت أيضاً : كلما تقدّم الرياضيون ، فإنهم يبارون بمنافسة أشد .

١٥ ـ وقالت أيضاً : هناك نسك يحدّده العدو ، وتلاميذه يحققونه . كيف إذن نقدر أن نميّز بين النسك الملوكي الإلهي والنسك الشيطاني الطاغي ؟ من الواضح أن هذا يكون من التساوق . فليكن زمانك كله مرتباً للصوم . لا تصم أربعة أيام أو خمسة ثم بعد ذلك تحل صومك بالأطعمة الكثيرة والمتنوعة ، لأن التطرف مفسد على الدوام . وإذا كنت شاباً وصحيح الجسم ، صمْ ، لأن الشيخوخة ستأتيك بالأمراض . لذا ، اكنز لك ما استطعت من الأطعمة ، حتى إنك متى عجزت (شخت) ، تجد راحة .

١ ـ وقالت أيضاً : عندما نكون في دير ذي حياة مشتركة ، يجب أن نؤثر الطاعة على النسك ، لأن هذه تعلّم التشامخ ، أمّا الأولى (أي الطاعة) ، فمن شأنها أن تعلّم التواضع .

١ ـ وقالت أيضاً : بالتمييز الروحي ينبغي أن نسوس أنفسنا . وعندما نكون في شركة من الإخوة ، لا ينبغي أن نطلب ما هو لنا ، ولا يليق أن نستعبد لرأينا ، فالأحرى أن نكون مطيعين لأبينا في الإذعان .

١ ـ وقالت أيضاً : كُتب : « كونوا حكماء كالحيّات وودعاء كالحمام » (متى ١٠ : ١٦) . ففي قوله أن نكون كالحيّات ، يعنّي أن لا تنطلي علينا ألاعيب الشيطان ،لأن الشبيه يُعرف مما يماثله أمّا قوله في أن نكون ودعاء كالحمام، فيشير إلى نقاوة السيرة .

الأب تيثوى

١ ـ قالوا عن الأب تيثوى إنه وإن لم يكن ينزل يديه بسرعة عندما يقف للصلاة ، إلاّ أن ذهنه كان مخطوفاً إلى فوق . وعندما كان يصلّي مع بعض الاخوة ، كان ينزل يديه بسرعة لئلا ينخطف ذهنه فيتأخر .

٢ ـ قال الأب تيثوى : الغربة هي أن يمسك المرء فمه .

٣ ـ سأل أحد الاخوة الأب تيثوى قائلاً : كيف أحفظ قلبي ؟ أجابه الشيخ : كيف يمكننا أن نحفظ قلبنا عندما يكون لساننا وبطننا مفتوحين ؟

٤ ـ قال الأب ماتوى عن الأب تيثوى إنه ليس ثمة من يقدر أن يفتح فمه لأي من الأسباب ، لأن الأب تيثوى هو كالذهب الصافي في كفة الميزان .

٥ ـ عندما أقام الأب تيثوى في الكليزما ، قال لتلميذه رغم كونه إنساناً متبصّراً وعاقلاً : إفتح الماء على الخوص يا ولدي . فقال تلميذه : نحن في الكليزما يا أبت . فقال الشيخ : وماذا أعمل هنا ؟ عدّ بي إلى الجبل ثانية .

٦ ـ بينما كان الأب تيثوى جالساً وأحد الإخوة إلى جانبه ، تنهّد دون علمه ، ولم ينتبه أن الأخ كان بقربه ، إذ كان في حالة من الوجد الروحي . ولمّا سجد قال : سامحني يا أخي ، لأني لم أصبح راهباً بعد[1] .

٧ ـ سأل أحد الاخوة الأب تيثوى قائلاً : ما هي الطريق التي تقود إلى التواضع ؟ أجابه الشيخ : إن طريق التواضع هي ضبط النفس ، والصلاة ، وأن يكون المرء دون الخليقة كلها .

(١) لأنه تنهّد امامه . إن هذا القول يرد عند الأب يوحنا الكولوفي أيضاً .

الأب تيموثاوس

١ ـ ذكر الأب تيموثاوس الكاهن للأب بيمن قائلاً : في مصر امرأة تزني وتعطي كل أموالها صدقة للمحتاجين . فقال الأب بيمن : لن تبقى في الزنى لأن فيها ثمرة الإيمان . وحدث أن جاءت والدة تيموثاوس الكاهن إليه ، فسألها : وهل استمرت المرأة في الزنى يا أمي ؟ قالت له : نعم ، وقد ازداد المعجبون بها ، لكن ازداد إحسانها أيضاً . فنقل هذا إلى الأب بيمن ، وهذا قال : لن تبقى في الزنى . ولمّا عادت والدة الأب تيموثاوس وزارته ثانية ، قالت له : هل تعلم أن تلك الزانية كانت تريد أن تأتي معي لكي تصلّي من أجلها ؟ فلما سمع هذا ، نقله للأب بيمن ، فقال له : الأفضل أن تذهب وتقابلها . فمضى الأب تيموثاوس وقابلها . فما إن رأته وسمعت منه كلمة الله ، حتى تأثرت وبكت ، وقالت له : أنا من الآن ألتصق بالله ولن أستمر في الزنى . وللحال دخلت الدير وشكرت الله .

الأب إيبريخيوس

١ ـ قال الأب إيبريخيوس : كما أن الأسد يخيف الحمار الوحشي ، هكذا يسود الراهب الممتحَن على أفكار الشهوة .

٢ ـ وقال أيضاً : الصوم لجام للراهب أمام الخطيئة . وكل من يرميها يصبح حصاناً مولعاً بالأنثى .

٣ ـ وقال أيضاً : إن من لا يضبط لسانه ساعة الغضب ، لا يمكنه أن يضبط أهواءه .

٤ ـ وقال أيضاً : حسن أن تأكل اللحم وتحتسي الخمرة ، بدل أن تأكل بالوقيعة لحوم الاخوة .

٥ ـ وقال أيضاً : بالنميمة أخرجت الحية حواء من الفردوس . هكذا هو حال من يثلب أخاه . فإنه يهلك نفس الذي يسمعه ، ونفسه هو لا يقدر أن يخلصها .

٦ ـ وقال أيضاً : كنز الراهب هو عدم القنية الطوعي . فاكنز يا أخي في السماء ، لأن أزمنة الراحة لا تنتهي .

٧ ـ وقال أيضاً : فليكن ذكر ملكوت السماوات أمامك كل حين ، فترثه سريعاً .

٨ ـ وقال أيضاً : الطاعة هي جوهرة الراهب الموروثة . ومن يمتلكها ، يحفظه المصلوب بدالة ، ويسمع له الله ، لأن الرب الذي صلب من أجلنا ، أطاع حتى الموت .

الأب فوقا

١ ـ قال الأب فوقا الذي من دير الأب ثيوغنيوس الأول الأورشليمي : لمّا كنت جالساً في الاسقيط ، كان في القلالي أب شاب يدعى يعقوب والذي كان أبوه الجسدي أباً روحياً له . وكان في القلالي كنيستان واحدة للأرثوذكسيين وفيها كان يتناول القرابين ، والثانية لذوي الطبيعة الواحدة . ولمّا كانت عند الأب يعقوب نعمة التواضع ، لذا أحبه الجميع من أرثوذكس ومنشقين . فقال له الأرثوذكس : انتبه يا أبانا يعقوب لئلا يخدعك المنشقون فيجذبونك إلى الشركة معهم . والأمر نفسه قاله المنشقون له : اعلم يا أبانا يعقوب أن علاقتك مع أصحاب الطبيعتين ، ستجعلك تخسر نفسك ، لأنهم نساطرة ويسخرون من الحق . وكان الأب يعقوب تقياً . فحزن من الكلام الذي سمعه من الفئتين ، وكان في تساؤل وحيرة . فقرر أن يتوسل إلى الله فاختبأ في قلاية هادئة خارج الدير ملتحفاً بثياب الدفن ، وكأنه مزمع أن يموت . فالآباء المصريون إعتادوا أن يحتفظوا حتى الموت بالسترة التي فيها يحصلون على الاسكيم والقلنسوة ، إذ يدفنون وهم يرتدونها . ففي يوم الأحد كانوا يلبسونها أثناء المناولة المقدسة ومن ثم كانوا يجمعونها . فلما دخل إلى تلك القلاية وأخذ يتوسل إلى الله ، وأطال صومه إلى أن سقط على الأرض وبقي مستلقياً . وكان يقول في ذهنه إن كثيرين من الشياطين ماتوا في تلك الأيام . وبعد مرور أربعين يوماً رأى ولداً (رأى الرب بشكل صبي) يدخل نحوه فرحاً وقائلاً : أيها الأب يعقوب ماذا تفعل هنا ؟ فاستنار للحال وحصل على قوة من الرؤية وقال : يا سيد أنت تعرف ما أملك . فأولئك يقولون لي : « لا تترك الكنيسة » . وآخرون يقولون لي : « ذوو الطبيعتين قد ضلّوا » ، وأنا في حيرة من أمري ، ولا أعرف ماذا أفعل ، فبلغت هذه الحال . أجابه الرب : حسناً هو حيث تكون . وللحين وجد بهذا

الكلام قرب أبواب الكنيسة المقدسة ، كنيسة الأرثوذكسيين وأتباع المجمع الخلقيدوني .

٢ ـ قال الأب فوقا : عندما ذهب الأب يعقوب إلى الاسقيط ، حاربه شيطان الزنى بضراوة . ولمّا أشرف على الخطر ، أتى إليّ وعرض عليّ أمره وقال : بعد يومين ، سأنطلق إلى ذاك الكهف ، وأرجوك من أجل الرب أن لا تقول لأحد ولا حتى لأبي . لكن عدّ أربعين يوماً وعند اكتمالها اعمل لي معروفاً وتعال إليّ حاملاً المناولة المقدسة . وإذا وجدتني ميتاً ، أدفني . وإذا كنت على قيد الحياة ، ناولني جسد الرب ودمه الطاهرين . وبما إني سمعت هذه الأمور منه ، أخذت المناولة الإلهية (جسد الرب) ، وقليلاً من الخمر وخرجت إليه عند اكتمال اليوم الأربعين . ولمّا دنوت من الكهف ، اشتممت رائحة نتنة كانت تنبعث من المدخل ، فقلت في نفسي : إن المطوّب قد وجد الراحة والنياح . ولكن لمّا دخلت ، وجدته بين حي وميت . ولما رآني ، حرّك يده اليمنى قليلاً قدر استطاعته ، وأومأ إلى المناولة المقدسة . فقلت له : إنها معي . فأراد أن أفتح له فمه . وكان فمه قاسياً . فخرجت إلى البرية بحثاً عن شيء أفتح به فمه قليلاً ، فوجدت وتداً من العليق ، فأجهدت نفسي كثيراً حتى تمكنت من فتح فمه ، وسكبت الجسد والدم الكريمين بدقة قدر استطاعتي . فأخذ قوة من تناوله الجسد والدم المقدسين . وبعد قليل بلّلت قطعة من الخبز ثم ألحقتها بأخرى ، وفقاً لما استطاع ابتلاعه . وبعد يوم واحد ، عاد معي بنعمة الله . فأتينا إلى قلايتي . وهكذا اعتق بمعونة الله من هوى الزنى المفسد .

الأب فيليكس

- زار بعض الاخوة الأب فيليكس ومعهم جماعة من أهل العالم وطلبوا منه كلمة واحدة . فلبث الشيخ صامتاً . ولمّا ألحّوا عليه في الطلب ، قال : هل ترومون سماع الكلمة ؟ قالوا : نعم يا أبانا . فقال لهم : الآن ، ليس هناك من كلام . فالاخوة عندما كانوا يسألون الشيوخ ويعملون بما يسمعونه ، كان الله يمنحهم القدرة على كيفية الكلام . أمّا الآن فإنهم يسألون ولا يفعلون بما يسمعون ، فإن الله قد رفع نعمة الكلام عن الشيوخ ، ولم يعد لديهم ما يتشدقون به ، إذ ليس هناك من يعمل بما يقال . فلمّا سمع الاخوة هذا ، تنهدوا وقالوا : صلّ من أجلنا يا أبانا .

الأب فيلاغريوس

- كان واحد من القديسين يدعى فيلاغريوس يقيم في برية أورشليم ويتعب كثيراً لكي يؤمّن خبزه . ولمّا كان يقف في السوق ليبيع عمل يديه ، حدث أن أضاع واحد من الناس كيساً فيه ألف قطعة نقدية . فوجده الشيخ ، وبقي في السوق قائلاً : لا بد أن من أضاعه سيعود ليفتش عنه . ثم أن ذاك المسكين عاد بعد قليل وهو يبكي . فأخذه الشيخ على انفراد وأعطاه الكيس . فأمسكه الرجل يريد أن يقدم له جزءاً منه . فرفض الشيخ . فما كان من الرجل إلاّ أن بدأ يصرخ ويقول : هلمّوا أنظروا رجل الله . انظروا ما قد فعل . أمّا الشيخ فخرج من المدينة خفية لئلا يتمجّد .

الأب فورتا

١ ـ قال الأب فورتا : إذا أرادني الله أن أعيش ، هو يعرف تماماً كيف يدبّرني . وإذا لم يكن يريد ذلك ، ما حاجتي إلى هذه الحياة ؟ ولم يكن يقبل من أحد شيئاً مع العلم أنه كان طريح الفراش ، بل كان يقول : إذا أعطاني أحد شيئاً ، ليس حباً بالله ، لا أقدر أنا على مكافأته ، كما ولن يأخذ من الله أجراً ما دام لم يفعل ذلك حباً بالله ، وبالتالي فإنه يسيء إلى نفسه . إذ يجب على الذين وضعوا اتكالهم على الرب أن ينظروا إليه فقط . وهكذا يسلكون بتقوى . حتى انهم لا يظنون أن في الأمر إساءة ، وإن حدث أن أُسيء إليهم آلاف وآلاف المرّات .

الأب خومه

١ ـ قالوا عن الأب خومة ، إنه عندما أوشك أن يغادر العالم ، قال لأبنائه الروحيين : لا تساكنوا الهراطقة . ولا تصاحبوا الوجهاء ، ولا تمدّوا أيديكم للأخذ ، إنما للعطاء .

الأب خريمون

١ ـ قالوا عن الأب خريمون في الاسقيط إن كهفه كان يبعد عن الكنيسة أربعين ميلاً ، وعن الواحة إثني عشر ميلاً . وعبر تلك المسافة ، كان يأتي بما يحتاجه لعمل اليد. فكان يمسك جرّتين يحملهما واحدة واحدة. وعندما يتعب، كان يأخذ لنفسه قسطاً من الراحة .

الأب بسينثايسيوس

١ ـ قال الأب بسينثايسيوس والأب سورس والأب بسويوس : لمّا كنا نسمع أبينا بخوميوس ، كنا ننتفع للغاية لأننا كنا في غاية الشوق واللهفة إلى الصالحة . فلمّا يصمت ، كان عمله كلمة . وكنّا نتعجب فيما بيننا ونقول نظن أن جميع القديسين قد جعلهم الله هكذا من بطون أمهاتهم ، و يتغيرون ، وأنهم ليسوا أحراراً ، وأن الخطأة لا يقدرون أن يعيشوا بـ كونهم قد خلقوا هكذا . أمّا الآن فإننا نرى صلاح الله واضحاً جلياً هذا ، لأنه وإن كان من أبوين وثنيين ، إلاّ أنه قد صار محباً لله وتقياً و نفسه بكل وصايا الله . لذا فإننا نقدر أن نتبعه ونقتفي أثره ، كما أنه ه يقتفي آثار القديسين إذ قد كتب : « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي وأنا أريحكم » (متى ١١ : ٢٨) . فلنمت مع إنسان كهذا ، ونحيا مع يقودنا بحق إلى الله .

الأب أور

١ ـ قالوا عن الأب أور والأب ثيوذورس إنهما وضعا طيناً في القلاية ، وقالا فيما بينهما : إذا زارنا الله الآن ، ماذا نعمل ؟ وبدموع تركا الطين ومضى كل واحد منهما إلى قلايته .

٢ ـ قالوا عن الأب أور إنه لم يكذب أبداً ولم يحلف ، ولم يلعن أحداً . كما أنه لم يكن يتكلم دونما مبرر أو حاجة .

٣ ـ قال الأب أور لتلميذه بولس : انتبه يا ولدي إلاّ تأتي بكلام غريب إلى هذه القلاية .

٤ ـ ذهب الأب بولس تلميذ الأب أور لشراء الخوص ، فوجد أن كثيرين قد سبقوه ودفعوا عربوناً . أمّا الأب أور فلم يكن يدفع شيئاً ، لأنه عندما كان يجيء دوره ، كان يدفع ما يترتب عليه ويشتري ما يريد . فمضى تلميذه إلى موضع آخر من أجل الخوص ، فقال له البستاني : لقد جاءني إنسان ودفع لي العربون ، لكنه ذهب ولم يعد بعد . خذه أنت بدلا منه . فأخذه وجاء به إلى الأب أور وأطلعه على ما جرى . فلمّا سمع الشيخ هذا ، ضرب يداً بيد ، وقال له : إن أور لا يعمل هذه السنة . وهكذا لم يترك الخوص في القلاية حتى عادت إلى مكانها الأول .

٥ ـ وقال الأب أور : إذا رأيتُ فكراً ما ضد أحد، أعلمُ أن ذاك أيضاً عنده فكر مماثل ضدي.

٦ ـ كان هناك أحد الأشراف في منطقة الأب أور يُدعى لونجينوس وكان هذا يفعل الإحسان كثيراً . فزار أحد الآباء وطلب منه أن يقوده إلى الأب أور . فمضى

الراهب إلى الشيخ وامتدح هذا الشريف لصلاحه وإحساناته . ففهم الشيخ وقال : نعم ، إنه صالح . ثم إن الراهب أخذ يستعطف الشيخ قائلاً : اسمح له أن يأتي لرؤيتك . أجابه الشيخ : في الحقيقة لن يعبر هذا الوادي ليراني .

١ ـ توسّل الأب سيسوى إلى الأب أور قائلاً : قل لي كلمة يا أبت . قال له : وهل تثق بي ؟ قال : نعم . قال له : اذهب واعمل ما تراني اعمله أنا . فقال له : وماذا أرى فيك يا أبت ؟ قال له الشيخ : إن فكري دون جميع الناس .

١ ـ قالوا عن الأب أور والأب ثيوذورس إنهما كانا دائماً يضعان بدايات صالحة ويشكران الله .

١ ـ قال الأب أور : التواضع هو إكليل الراهب .

١ ـ وقال أيضاً : إن من يُحترم ويُمتدح ، أكثر مما هو عليه ، يهلك كثيراً . أمّا الذي لا يمتدحه أحد ، فإنه يتمجد من فوق .

١ ـ وقال أيضاً : عندما يأتيك فكر التشامخ والكبرياء ، افحص ضميرك إذا كنت قد حفظت كل الوصايا ، أو أحببت كل أعدائك . وهل تحزن لهلاكهم . وإذا كنت تعتبر نفسك عبداً بطّالاً وخاطئاً أكثر من جميع الناس . ولا تظن أبداً أنك قد قمت بهذه كلها ، عالماً أن هذا الفكر يلاشي هذه كلها .

١ ـ وقال أيضاً : في كل تجربة لا تلم أحداً ، بل نفسك فقط ، قائلاً : إن هذه أصابتني من جراء خطاياي .

١ ـ لا تقل في قلبك نحو أخيك : أنا أكثر نسكاً وانتباهاً منه ، إنما أطع نعمة المسيح بروح الفقر والمحبة التي لا رياء فيها لئلا تقع في روح الزهو والافتخار ، فتخسر كل أتعابك ، لأنه كُتب : « فليحذر السقوط من توهّم أنه واقف » (١ كور ١٠ : ١٢) . لذلك ، كن مملّحاً بملح المسيح .

١ ـ وقال أيضاً : أهرب من الناس على عجل ، أو انخرط في العالم والناس ، جاعلاً نفسك جاهلاً في أمور كثيرة .

- وقال أيضاً : إذا ثلبت أخاك وأنّبك ضميرك ، اذهب واصنع له مطانية (سجدة) ، وقل : لقد ثلبتك يا أخي . ثم أكّد له انك لن تتورط في ذلك بعد اليوم . فالوقيعة هي موت النفس .

تم طبع هذا الكتاب في شهر تشرين الأول ١٩٨٣
في مطبعة النور – تلفون ٢٨٦٩٨٩
ولحساب منشورات النور
بيروت – لبنان